اللاعبون والمشهد

إلى شوقي بغدادي ومحمد عفيفي مطر

خليل الخُوري

... وتوتَّرْ إذاً باتّجاهِ المفاجأةِ.. انتهتِ
الآنَ أُمسيةُ العرضِ... دامَتْ ثلاثينَ دورةِ
ليلٍ.. وأكثرَ.. والقاعة الآن واجمةٌ يتثاءب
فيها الصدى والمقاعدُ..
لم ينصرفْ أَحدٌ أو يصفّقْ... نواظر تشهقُ
مصعوقةً، يتألّق فيها البوارُ... صحارى رمادٍ
تحدّق ما بين بردِ الذهولِ ونارِ التساؤلِ.

حتى الستارةُ واقفةٌ في الفراغِ.. تراوحُ، تكبحُ
دهشتها:
[سقط المشهدُ الآنَ...
من أخرجوهُ ومن مثّلوهُ..
المؤلّفُ واللغة المسرحيةُ
والماكياجُ..
وحتى الملقّن..]
... كلُّهمُ!

حاجبٌ واقفٌ في مناخِ السقوطِ (بيمناهُ من
نتنهم خرقةٌ) يتلقّفُهم ساقطاً ساقطاً، والتقزُّزُ
يخنقه، ثم يرمي بهم في غيابةِ جبِّ النذالةِ،
ينفضه الغثيانُ، فيصرخُ: بئسَ الختامُ.
روائحهُم تزكمُ الجوَّ..
لا.. لم يكنْ ما يبيضونَه كلماتٍ.. ولكنْ بصاقاً
وقيئاً... أجلْ.. كانَ للوغدِ منهم قناعٌ، قناعانِ، متحفُ
أقنعةٍ، لغةٌ، لغتانِ، لغاتٌ، وكانَ له رقمٌ
في ملفّاتِ أسيادِهِ..
كان لغماً يوقّتُهُ الموتُ ما بينَ سورةِ طه
ووجهِ الشهيدِ.
«جواكرُ» أتقنتِ الانزلاقَ، تخاتلُ، تنزلُ ما
بين وترين شفعاً وما بين شفعينِ وتراً..
[تلمّسْ إذاً وجهَك الآنَ،
ماانفكَ وجهُك وجهَك،
لونُك لونَك في صفحاتِ

مرايا الصباحِ،

يصحُّ الصحيحُ، تقولُ

لنا الحكمةُ البابليةُ،

فاشكرْ...]

... وعُدْ فتوتّرْ فإنّ البروقَ..

تتمتم شاهِدةٌ فاجأتْها انهياراتُ أمسيةِ

العرضِ.. ماذا؟ أأولاءِ كانوا كباراً؟

بماذا؟

أهذا القميءُ صنيعةُ مفقسةِ الشُّبُهاتِ،

بغليونِهِ المتهتك ما بينَ أسنانِهِ كان حقاً

كبيراً؟

بماذا؟ أبالمتقوّلِ والمتأوّلِ والمتسوّلِ

والمتجوّلِ والمتنوّلِ والمتنصّلِ والمستترابِ به؟

ثم هذا، هجاءُ الحياةِ، فضيحتها وربيبُ التلطي

وخرّيجُ هجنتِهِ، متعاطي المروق الذي يتعيّشُ

من نهشِ عرضِ البلادِ التي دثّرتْه وقبرِ أبيه،

وقد عبرَ الأرضَ بوابةً إثر بوّابةٍ يتمَسَّحُ

بالناخسين ووصمةُ طورَان تأكلُ سِحْنتَه،

وبجعبتِهِ قلبُهُ المتفسّخُ يعرضُه في مزاداتِ

أهلِ السفاتجِ، وهو يحاضرُ عن كبرياءِ العَفافِ،

ليرجعَ ليلاً إلى وَكرِهِ وهو يحملُ أشلاءَ عرضِ

القصيدةِ نازفةً، دونَ قلبٍ وحبٍّ سوى طيفِ

أوزارِهِ.؟

أَم هو العنكبوتُ الذي كان يخضرُّ يحمرُّ

يصفرُّ ما بينَ ربٍّ وربٍّ وسوقٍ وسوقٍ يعاقرُ

أَوهامَهُ يستدرُّ بجثةِ وجدانِهِ في مواخيرِ

من صبّروا في متاحِفِهم جثثَ الساقطين.. وقد

هزُلتْ ثم بانَ طُلاها أصيلتُهُ وهو يهجُرها

تتسكّعُ فوقَ القوارعِ في غربتينِ، تكونُ

ركابَ الغريبِ.؟!

أأُكملُ.؟ إنّ القوائمَ عامرةٌ.. للزواحفِ

أيضاً تاريخُها، للنذالات فرسانُها..

فانسجمْ..

إنّ عصراً بأكملِهِ يشهدُ الآنَ ليل

السقوطِ وأمسيةَ الساقطينَ..

تَوتّرْ إذاً باتجاهِ الصواعقِ،

واسهرْ على عتباتِ التوقّعِ...

قالتْ لنا الحكمةُ البابليةُ،

وهي تقولُ لنا..

وتقولُ لنا قبّراتُ الصباح..!

بغداد